الجمهوريّة التّونسيّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة صفاقس
كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس

بحوث جامعيّة

مجلّة الآداب والعلوم الإنسانيّة

العددان 16-17
الترقيم الدولي 2811-6585
سبتمبر 2023

بحوث جامعيّة

الجمهوريّة التّونسيّة
وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
جامعة صفاقس
كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس

بحوث جامعيّة

مجلّة في الآداب والعلوم الإنسانيّة

العددان 16-17

سبتمبر 2023

بحوث جامعيّة

دوريّة تصدر عن كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس

العددان 16-17 سبتمبر 2023

المدير المسؤول :

محمّد بن محمّد الخبو

رئيس هيئة التحرير:

منير التركي

أعضاء هيئة التحرير:

عقيلة السّلامي البقلوطي – محمّد بن عيّاد - منير التركي - محمّد بن محمّد الخبو – مصطفى الطرابلسي – فتحي الرقيق – محمّد الجربي

كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس

صندوق بريد 1168، صفاقس 3000 تونس

الهاتف : 557 670 74 (216) - 558 670 74 (216)

الفاكس : 540 670 74 (216)

الموقع الإلكتروني : www.flshs.rnu.tn

طباعة : **مطبعة كونتاكت**

الهاتف: 940 975 23 – 333 225 98 - imp.contact2017@gmail.com

ر.د.م.م : ISSN : 2811-6585

البنية الحكائيّة : في أخبار"كتاب المكافأة وحسن العقبى" لابن الداية

يسرى التمراوي*

الملخّص

يروم هذا المقال دراسة أثر القيمة في البنية القصصيّة في الخبر الأدبيّ، وبيان مظاهر تشكّلها، في جميع مقوّمات السرد من أعمال وشخصيّات وزمان ومكان، والوقوف على القيم الكامنة خلفها.

فالقيم تساهم بمقدار واسع في تشكيل الأعمال وإخضاعها لمنطق معيّن. وتتحكّم في البنى الذهنيّة و النفسيّة لدى الشخصيّات، وتحدّد طريقة فهم أو إدراكها لمحيطها وعلاقاتها التواصليّة. فتترتّب على ذلك ألوان مختلفة من المواقف وألوان السلوك ،تكون حاسمة في شبكة العلاقات. وينشدّ الزمان والمكان بدورهما إلى عمق قيميّ يُفرغهما ممّا فيهما من وظائف التأطير ويملؤهما بوظائف التوجيه.

ويطمح هذا المقال إلى الوصول إلى نتائج تنير جوانب جديدة من الخبر الأدبيّ خصوصا والخطاب السرديّ عموما، وتفتح مسالك بحثيّة مختلفة، تنظر إلى الخطاب السرديّ موصولا بالثقافة التي أنتجته.

Résumé

Cet article a pour objectif d'étudier l'impact de la valeur sur la structure narrative dans le récit littéraire, et à présenter les manifestations de sa configuration, dans tous les éléments du récit, des actions, des personnages, du temps et du space, et à identifier les valeurs qui le sous-tendent.

* أستاذة مساعدة متعاقدة بكلية الآداب والعلوم الانسانية بسوسة

Les valeurs participent largement à configurer les actions et à la soumettre à une logique spécifique. Elles contrôlent les structures mentales et psychologiques des personnages et détermine la façon dont ils comprennent et perçoivent leur environnement et leurs relations communicatives. Par conséquent, différents types d'avis et de comportements sont décisif au niveau de relations. Aussi Le temps et l'espace, s'attachent au profondeur de valeurs qui les vident des fonctions d'espace et les remplissent de fonctions d'orientation.

Cet article aspire à atteindre des résultats qui éclairent de nouveaux aspects du récit littéraire en particulier et du discours narratif en général, et ouvrent différentes voies de recherche, en examinant le discours narratif associé à la culture qui l'a produit.

Abstract

This article aims to study the impact of Value on narrative discourse in the literary Anecdote; to unveil its manifestations within all the narrative ingredients of time setting and Actions, and to examine its underlying values.

Indeed, Values contribute laregely in the construction of action and in subjecting them to a particular logic. They excercise a conrol over the character's psychology and mindset and determine their perception and awareness of their environment and communicative relationships.

This results in various sorts of reactions, attitudes and types of behavior that have a decisive impact on the web of relations. Time and setting are also chained to a value system which strips them of their guiding role and endows them with an orienting role instead. This article seeks to achieve new results that shed light on aspects of the literary Anecdote in particular and narrative discourse in general, to usher in multiple research

avenues which explore narrative discourse with regard to its mother culture.

المقدّمة

يُعدّ مبحث البنية الحكائيّة في المنجز السرديّ من أكثر المباحث التي حظيت بعناية المنظّرين والباحثين واستقطبت جهودهم. وقد انصرفت أغلب تلك الجهود إلى البحث في مختلف مظاهر تشكّل البنية الحكائيّة[1] سواء في مستوى الأعمال أو الشخصيّات أو الكرونوتوب (Chronotope)[2].

ولمّا كان الخبر الأدبيّ من أبرز أنواع الخطاب السرديّ في التراث العربيّ فإنّه قد نال حظّا وفيرا من الدراسة في مستوى بنيته الحكائيّة. غير أنّ أغلب تلك الدراسات قد انصرفت إلى بيان مظاهر تشكّل البنية الحكائيّة في الخبر الأدبيّ فنّيّا[3]. ووقفت على وجوه كثيرة لذلك التشكّل. ولعلّ الوجه الغائب من تلك الوجوه هو الوجه الذي تقترن فيه البنية الحكائيّة بالنظام القيميّ السائد في المجتمع العربيّ الإسلاميّ القديم. فالقيم تحكّمت على نحو من الأنحاء في مختلف

---

[1] نذكر على سبيل المثال:

- Vladimir Propp, *Morphologie du conte*, Editions du Seuil, 1965.

- Tzvetan Todorov, "Les catégories du récit littéraire", *Communications*, N° 8,1966.

- Claude Bremond, *Logique du récit*, Editions du Seuil, 1973.

[2] أجرى ميخائيل باختين مصطلح الكرونوتوب أو الزمكان في إشارة إلى تلازم الزمن والمكان.

Mikhail Bakhtine, *Esthétique et théorie du roman*, Gallimard, Paris, 1987, p. 237.

[3] نذكر مثلا :

- محمّد القاضي، الخبر في الأدب العربيّ دراسة في السرديّة العربيّة، كلّيّة الآداب، منوبة، تونس، دار الغرب الإسلاميّ، ط 1، بيروت، 1998.

- سعيد يقطين، الكلام والخبر مقدّمة للسّرد العربيّ، المركز الثقافيّ العربيّ، ط 1، الدار البيضاء، 1997.

- سعيد جبار، الخبر في الأدب العربيّ الثوابت والمتغيّرات، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط 1، 2004.

مقوّمات الخبر الأدبيّ من أعمال وشخصيّات ومكان وزمان. فما مظاهر الاقتران بين البنية الحدثيّة والنظام القيميّ؟ وفيم يظهر تأثير القيم في بنية الشخصيّات؟ وكيف يخضع الإطاران المكانيّ والزمانيّ لسلطة القيم؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها آثرنا الانطلاق من الأخبار الأدبيّة الواردة في كتاب ابن الداية "كتاب المكافأة وحسن العقبى". وجاء اختيارنا نتيجة سببيْن أساسيّيْن: يتمثّل أوّلهما في محدوديّة الدراسات النقديّة حول "كتاب المكافأة وحسن العقبى".[1] ويتّصل ثانيهما بطبيعة الأخبار الواردة في هذا الكتاب. فهي أخبار وثيقة الصلة في بنيتها بالمنظومة القيميّة. فكيف تشكّلت البنية الحدثيّة في أخبار "المكافأة وحسن العقبى"؟ وكيف تجلّت صلتها بالمنظومة القيميّة؟

I. البنية الحدثيّة ومفعول القيمة

إنّ الأعمال هي المادّة الأوّليّة في كلّ خطاب سرديّ. وقد حظيت بكمّ من النظريّات غزير، نظرت إلى الأعمال من منظور الوظائف[2] أو العوامل[3] أو الأعمال[4]. وقد انصرفت تلك النظريات إلى البحث في مظاهر تشكّل الأعمال وطرائق بنائها، وبيان كيفيّة اشتغالها سرديّا، والوقوف على منطق ترابطها وانتظامها. وليس سبيلنا في هذا المستوى بسط الكلام ونشره في هذه النظريّات بقدر ما هو البحث في مظهر مختلف من مظاهر بناء الأعمال نصّيّا وطرائق ترابطها وانتظامها. فللأعمال في الأخبار الواردة في "كتاب المكافأة وحسن العقبى" بنية ثنائيّة ذات أسس قيميّة. ونوضّح ذلك انطلاقا من خبر "محمّد بن يزيد ومسافر":

---

[1] - ابن الداية، كتاب المكافأة وحسن العقبى، تحقيق محمود محمد شاكر، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د.ت).

[2] Vladimir Propp, *Morphologie du conte*, op. cit. p. 29.

[3] Greimas, *Sémantique structurale Recherche de méthode*, Larousse, 1966, p. 173.

[4] Tzevetan Todorov, *Théorie de la littérature*, Seuil, Paris, 1965, pp. 263-292.

"حدّثني محمّد بن يزيد –وكان حسن التقشّف سديد الرأي- قال: أُطلق جماعة من حبس أحمد بن طولون... فإنّي عند بعض أصحاب الأكسية حتى وافاه غلام أصفر، خبيث المنظر، متمكّن من نفسه، من الخارجين من السجن، فرحّب به، وجلس عنده وهنّأه بسلامته، ثم سأله عن حاله، فقال خرجت من الحبس كما تراني، وما معي نفقة تبلغني منزلي. فقلت له: ما اسمك؟ قال: مسافر... وقلت له كم يكفيك إلى منزلك؟ فقال: دينار. فدفعته إليه... فما مضى شهر حتى اضطربت ناحية أهناس والبهنسا بتسلّط رجل من اللصوص – في جمع كثير، على كثير من المواضع، وكبسهم الضياع. وكانت لي أسلاف بسمسطا ونواحيها، فخرجت لقبضها في رفقة من التجار قد حملوا البزّ والطيب وما يُحتاج إليه للأرياف. فإنّا بنواحي المحرّقة حتى لقينا قطعة من اللصوص، فساقتنا بأسرنا إلى موضع منقطع عن المارّة، وفيه شابّ أصفر راكبَ فرس، ومعه مقدار خمسة فوارس، فعرضت الجماعة عليه إلى أن بلغني. فتأمّلته فوجدته مسافرا. فأكبّ على رأسي وتحفّى بي، ثم قال لأصحابه: أخطأ والله حزركم، هذه رفقة شيخي وسيّدي، ووالله لا دخل إليّ منها شيء. وسار معنا حتى أخرجنا إلى الأمن". (ص ص 36-37)[1].

يتكوّن متن هذا الخبر من مقطع واحد يشتمل على وضع أوّليّ ومقطعيْن جزئيّيْن[2]. يشير الوضع الأوّليّ "أُطلق جماعة من حبس أحمد بن طولون" إلى حدث سيكون له دور مهمّ في تنامي السرديّة. ويمتدّ المقطع الأوّل من بداية المتن وينتهي بقول الراوي: "فدفعته إليه". وتتقدّم السرديّة من خلال التحوّل في مستويات عديدة. ففي مستوى المكان انفصلت شخصيّة مسافر عن السجن واتّصلت بدكّان صاحب الأكسية. وفي مستوى التواصل الاجتماعيّ تحوّلت الشخصيّة من

---

[1] سنحيل إلى المصدر طيّ المتن.

[2] إنّ كلّ تقطيع مهما تكن وجاهته لا يستقيم منهجا وحيدا يلزمنا باتّباعه ما دام المستوى الذي خوّل ذاك التقطيع متغيّرا دائما.

محمّد الناصر العجيمي، في الخطاب السرديّ نظريّة قريماس، الدار العربيّة للكتاب، 1993، ص 114.

شخصيّة نكرة إلى شخصيّة معرفة بالنسبة إلى الراوي. وتحوّلت الشخصيّة في المستوى المادّيّ من الافتقار (Manque) إلى إصلاح الافتقار. وترتّب على كلّ ذلك تحوّل الشخصيّة من التأزّم إلى الانفراج. فقد انتهى هذا المقطع الجزئيّ الأوّل بفعل، هو نتيجة للحوار الدائر بين الراوي وصاحب الدكّان من جهة، ومسافر، الغلام الأصفر من جهة أخرى. وتمثّل في منح مسافر دينارا لتغطية نفقة عودته إلى المنزل.

وتستند تلك التحوّلات إلى مجموعة من الأفعال والأحوال. فمسافر حديث عهد بالخروج من السجن. ولئن سكت الراوي عن ذكر الأسباب التي سجن من أجلها مسافر فإنّ وصفه يكشف ذلك. فمسافر "غلام أصفر، خبيث المنظر، متمكّن من نفسه". وينبئ تحديد المظهر (Aspectualisation)[1] هذا بأنّ مسافرا تأصّلت فيه الجريمة، وهو من الخارجين عن الشرائع والقوانين التي تنظّم حياة الناس في أهناس. ولا شكّ في أنّه سُجن في جرم ارتكبه في حقّ الناس. وكشف منطوقه حالة النقص التي يعانيها. فهو لا يملك من المال ما يمكّنه من الوصول إلى المنزل. ومجيئه إلى صاحب الأكسية دليل على وجود سابق معرفة بينهما، ودليل كذلك على أنّ مسافرا كان يأمل أن يسارع صاحب الأكسية إلى منحه مبلغا من المال يساعده في العودة إلى المنزل، فيسدّ نقصه ويُصلح افتقاره.

ورغم اشمئزاز الراوي من مظهر مسافر فإنّه عجّل بالتفاعل معه، والاقتراب منه باستفساره عن الاسم ومقدار المبلغ الماليّ. ولم ينتظر كيف سيتفاعل صاحب الأكسية مع مسافر بل عجّل بمنحه ما طلب من المال. وكان الراوي قد أشفق في باطنه على مسافر، أو هو مجبول على مساعدة الآخرين بصرف النظر عن هيئاتهم وأعمالهم. فيكون قد أقدم على المساعدة استجابة لسلطة القيم عليه. وتكون القيم هي محرّك[2] الأحداث في الخبر.

---

[1] Jean-Michel Adam, *La description*, P. U. F, Paris, 1993, p. 108.

[2] قد يكون محرّك الأحداث من مصدر نفسيّ أو مصدر خارجيّ.

ويتّضح أنّ مسافرا يعيش أزمة مركّبة. قسمها الأوّل نفسيّ. فهو منهار لكونه كان مسجونا، وحائر لعجزه عن العودة إلى منزله، وهو كذلك حيّ لاضطراره إلى الاقتراض أو التسوّل. وقسمها الثاني ماديّ. فهو مفلس لا يملك درهما ولا دينارا، وغير قادر على توفير ما به يسدّ رمقه.

ويبدو أنّ الراوي قد أدرك عمق الأزمة التي يعيشها مسافر، فلم يتلكّأ ولم يتباطأ ولم ينتظر ما يمكن أن يقوم به صاحب الأكسية، وإنّما بادر إلى التخفيف من أزمة مسافر النفسيّة، وإصلاح ما به من افتقار على حدّ الحاجة التي ذكرها. ويبدو كذلك أنّ مسافرا قد نظر بعين الإكبار إلى ما قام به الراوي. فهو كان ينتظر من صاحب الأكسية أن يساعده. وستكون مساعدته أمرا محمودا عند مسافر. ولكنّ المساعدة جاءت لمسافر من رجل مجهول بالنسبة إليه. وذلك ما سيجعل للراوي مكانة مختلفة عند مسافر، قد يكشف باقي السرد عن طبيعتها.

وإذا اختزلنا تلك التحوّلات التي تكوّن المقطع الأوّل في أحداث رئيسيّة وجدناها على النحو التالي. وصول مسافر إلى دكان صاحب الأكسية. الإعلان عن حاجته. الاستجابة. وارتبطت هذه الأحداث ببعضها عن طريق نوعين من الروابط: يتّصل أوّلهما بالزمنيّة (Temporalité). فالوصول إلى دكان صاحب الأكسية سابق في الزمن للإعلان عن الحاجة. والإعلان عن الحاجة سابق في الزمن للاستجابة. ويتمثّل ثانيهما في السببيّة (Causalité). فالوصول إلى دكان صاحب الأكسية سبب، أدّى إلى نتيجة هي الإعلان عن الحاجة. والإعلان عن الحاجة سبب أدّى إلى نتيجة هي الاستجابة.

ولمّا كانت المساعدة التي قام بها الراوي قد أخرجت مسافرا من أزمته، وأنهت معاناته وأصلحت افتقاره فإنّها تمثّل قطب الأحداث في هذا المقطع الجزئيّ الأوّل. ولمّا كان الراوي قد قدّم المساعدة دون معرفة سابقة بمسافر، ودون أن ينتظر

Carole Tisset, *Analyse linguistique de la narration*, Sedes, Paris, 2000, p. 39.

منه جزاء ولا شكورا، يمكن الاصطلاح على هذا المقطع الجزئيّ الأوّل بالإحسان أو "الحسن" بعبارة ابن الداية. والحسن هو القيمة المركزيّة التي يؤسّس لها ابن الداية في أخبار "كتاب المكافأة وحسن العقبى".

ويشمل المقطع الجزئيّ الثاني بقيّة الخبر الأوّل. وتقدّمت فيه السرديّة على أساس تحوّلات عديدة أبرزها التحوّل الحدثيّ. فأهناس تحوّلت من مكان آمن مستقرّ إلى مكان مخوف مضطرب، والراوي تحوّل من مكان إقامته إلى مكان آخر ناحية أهناس المضطربة. وترتّب على تلك التحوّلات وقوع الراوي ورفاقه من التجّار في قبضة اللصوص. فوقعوا في أزمة متعدّدة الوجوه. منها ما هو واقع وهو التحوّل من الحرّيّة والأمن إلى الأسر والخوف، ومنها ما هو بصدد الوقوع وهو التحوّل من الثراء إلى الفقر. فهي أزمة نفسيّة ووجوديّة ومادّيّة.

ولئن اكتملت وجوه الأزمة بالنسبة إلى بعض رفاق الراوي الذين شرع اللصوص في عرضهم على كبيرهم وسلبهم متاعهم فإنّ أزمة الراوي سرعان ما انفرجت. وجاء الانفراج من كبير اللصوص. فقد تعرّف على الراوي وتعرفّ الراوي عليه، فإذا هو مسافر. ولم يكتف مزاحم بالإفراج عن الراوي بل اعتذر منه ونحا باللوم على عصابته وكفّ أيديهم عن رفقة الراوي وأوصلهم إلى حيث الأمن.

ويمكن اختزال الأعمال الواردة في المقطع الجزئيّ الثاني في ثلاث حركات أساسيّة: الوصول إلى أهناس، ثمّ الوقوع في الأسر، ثمّ التعرّف ثمّ الانفراج. وقد ارتبطت هذه الأعمال ببعضها عن طريق التسلسل الزمني والعلّيّ. فالوصول إلى أهناس سابق للوقوع في الأسر وسبب له. والوقوع في الأسر سابق للتعرّف وسبب له. وورد الانفراج لاحقا ونتيجة للتعرّف.

ويعدّ الانفراج قطب الأحداث في هذا المقطع الجزئيّ الثاني. فقد استعاد الراوي ورفاقه الحرّيّة والأمن والمتاع. والمختلف في عمليّة الانفراج هو أنّ الراوي أو أي شخصيّة من رفاقه لم يسع إلى الخروج من الأزمة بل جاء الانفراج من الشخصيّة المعرقلة نفسها وهي مسافر. فقد سارع إلى الإفراج عن الراوي لما كان قد سلف

منه لمّا كان مسافر في أزمة. فارتبطت حركة الانفراج بقيمة المكافأة ورد الجميل. ولذلك يمكن الاصطلاح على المقطع الجزئيّ الثاني بردّ الجميل أو "المكافأة" حسب عبارة ابن الداية. وتعدّ المكافأة من القيم الأساسيّة التي تستند إليها أخبار "كتاب المكافأة وحسن العقبى".

ولئن ارتبط المقطعان الجزئيّان المكوّنان لهذا الخبر عن طريق عمل السرد فإنّ الرابط الأساسيّ هو الرابط القيميّ. فمدار الأحداث في المقطع الجزئيّ الأوّل على الإحسان. فقد بادر الراوي إلى مساعدة مسافر وهو في أسوإ حال للعودة إلى منزله. ومدار الأحداث في المقطع الجزئيّ الثاني على المكافأة. فقد سارع مزاحم إلى مكافأة الراوي على صنيعه وأخرجه ممّا هو فيه من سوء الحال.

ونتبيّن استنادا إلى هذا التحليل أنّ الخبر الأدبيّ الوارد في "كتاب المكافأة وحسن العقبى" ذو بنية ثنائيّة ذات أسس قيميّة. يمثّل مكوّنها الأوّل الإحسان، ويمثّل مكوّنها الثاني المكافأة. ورغم أنّ هذه البنية ترقى إلى مستوى الكلّيّة الثابتة نظرا إلى تواترها في العديد من الأخبار الواردة في كتاب ابن الداية، فإنّها ليست ثابتة، بسبب تواتر نوع آخر من البنى الحدثيّة. ويمكن الانطلاق من خبر "عمرو بن العاص وتنكّره" للوقوف على طبيعة هذه البنية الثانية.

"سمعت سعيد بن عبد الله بن الحكم يقول: وُجد في أخبار مصر المسندة أنّ عمرو بن العاص عند تغلّبه على مصر كان يتنكّر ويخرج وحده متشبّها بالرجل من عامّته ليرى ما عليه القبط من النيّة للمسلمين. فتمادى به السير راجلا حتى لحق بطرف من الفسطاط، فرأى جماعة قد التأمت على سوء فيه. فقال لها: اعملوا بي كلّ ما تؤثرون من السوء ولا تردّوني إلى يد الأمير، فإنّي هربت منه، فقال بعضهم: ردّوه إلى الأمير فإنّه يقتله، ويكون لكم بذلك عارفة عند الأمير. فساقوه إلى دار الإمارة فأخذ يتضوّر ويتأبّى في سياقته حتى قرب من الدار. فقام إليه الشرط. فقال: لا يفوتنّكم منهم أحد. فجمعوا له. فأتى على آخرهم، ولم يعاود التنكّر". (ص ص 103-104).

في هذا الخبر مقطعان جزئيّان، ينتهي أوّلهما بقول الراوي: "فرأى جماعة قد التأمت على سوء فيه". وتتطوّر السرديّة فيه على أساس التحوّل. فقد تحوّلت الشخصيّة الرئيسة "عمرو بن العاص" من الحقيقة إلى التنكّر، وخرج من وسط الفسطاط حيث الأنس والشرط والأمن إلى طرف من أطرافه حيث الوحشة والمجرمون والخوف. وبلغ التحوّل ذروته بوقوع الشخصية بين جماعة من المنحرفين عقدت العزم على النيل منه. فوجدت الشخصيّة نفسها في أزمة مركّبة لم يجهر سطح النصّ بمختلف وجوهها.

ومدار الأحداث في هذا المقطع الجزئيّ الأوّل على أزمة الشخصيّة الرئيسة، وهي نتيجة تعرّض المنحرفين له. فهؤلاء المنحرفون أسرعوا إلى الشخصيّة الرئيسة بسوء العشرة وقبيح الفعال دون وجه حقّ. فإذا هم بذلك قد ظلموها وأساؤوا إليها. وبالإمكان الاصطلاح على هذا المقطع الجزئيّ الأوّل بالإساءة (Méfait)، أو "القبيح" على حدّ عبارة ابن الداية.

ويشمل المقطع الجزئيّ الثاني بقيّة الخبر. وقد تطوّرت فيه الأحداث على أساس التحوّل كذلك. فقد أفلحت الشخصيّة الرئيسة في تحويل نفسها من أمير متنكّر إلى شخص فار من سلطة الأمير. فترتّب على ذلك تحوّل في موقف المنحرفين فعدلوا عن الإساءة إلى الشخصيّة وعزموا على تسليمها إلى الأمير.

ولئن كان تحوّل الشخصيّة الرئيسة وليد فطنتها وذكائها وبصرها بعواقب الأمور فإنّ التحوّل في موقف المنحرفين وليد الطمع. فلمّا علموا أنّ الشخصيّة في حالة فرار من الأمير قدّروا أنّهم لن يظفروا منها بشيء ذي قيمة، وأنّهم متى سلّموها إلى الأمير سيكافئهم على صنيعهم. لذلك عجّلوا بحملها إلى حيث دار الأمير. ثم ترتّب على كلّ ذلك تحوّل أخير، تمثّل في التحوّل من طرف من أطراف الفسطاط حيث يوجد الخوف والاضطراب إلى دار الإمارة حيث الأمن والاستقرار، وتمثّل كذلك في انقلاب موازين القوى حيث انفرجت أزمة الشخصيّة الرئيسة، وأصبحت في

الموقع الأعلى في سلّم العلاقات، وفي المقابل دخل المنحرفون في أزمة وأصبحوا في موقع الأدنى.

ولكنّ الشخصيّة الرئيسة لم تكتف بهذه التحوّلات التي أدّت إلى انفراج أزمتها، بل قرّرت الانتقام ممّن كانوا سببا في أزمتها. وساعدها موقعها المؤسّسيّ في البطش بالمنحرفين والقضاء عليهم جزاء وفاقا لما كان قد سلف منهم قبيح فعالهم أو ما كانوا قد همّوا به من قبيح الأفعال. ولذلك يمكن الاصطلاح على هذا المقطع الجزئيّ الثاني بالجزاء. ويدخل الجزاء في باب المكافأة عند ابن الداية.

ويتبيّن لنا أنّ هذا الخبر الأدبيّ قائم على بنية ثنائيّة تتمثّل في القبيح والجزاء. وقد تواترت هذه البنية في عدد من الأخبار الواردة في "كتاب المكافأة وحسن العقبى". ولذلك يمكن القول إنّ أخبار "المكافأة وحسن العقبى" قد اتّخذت بنية ثنائيّة ذات أسس قيميّة نوضّحها استنادا إلى الرسم التالي:

الحسن

المكافأة ——————————

القبيح

وانتظمت الأعمال في الأخبار الأدبيّة الواردة في "كتاب المكافأة وحسن العقبى" وفق ضربيْن من المنطق متقابليْن يستندان إلى خلفيّة قيميّة: منطق الإحسان ومنطق الجزاء. وتحكّم منطق الإحسان في القسم الأوّل من تلك الأخبار[1]. فينطلق الخبر من وضعيّة قائمة على التقابل بين شخصيّتيْن: إحداهما في حالة نقص وافتقار

[1] للإحسان في أخبار "كتاب المكافأة وحسن العقبى" صور شتى. فقد يكون العفو عند المقدرة كخبر "خالد القسريّ وديوانيانه" (ص 3)، أو ردّ ضالّة على صاحبها كخبر "المقرئ وراعي الغنم" (ص 38)، أو استجارة كخبر "النصرانيّ والمستتر" (ص 42)، أو الانتفاع بعلم كخبر "علي المتطبّب وولد أفلاطون" (ص 48).

قد يبلغ مبلغ الإشراف على الهلاك. والأخرى في حالة يسر واقتدار. فتبادر بالإحسان إلى الشخصيّة الأولى إحسانا يقيها شرّ الوقوع في المهالك. ثمّ تنقلب الأدوار وتدور الدوائر وتقع الشخصية المحسنة في مأزق مؤذن بهلاكها. فتتدخّل الشخصيّة التي كانت قد تلقّت المساعدة سابقا لإنقاذ الشخصيّة المحسنة. فالإحسان هو الذي حمل الشخصيّة الأولى على مساعدة تلك الشخصيّة التي أحسنت إليها سابقا. ويمثّل إحسان الشخصية الأولى على هذا الوجه مكافأة لتلك الشخصيّة المحسنة واعترافا لها بالجميل وتجسيدا لمبدإ تداوليّ مفاده وما جزاء الإحسان إلّا الإحسان.

ويحكم المنطق الثاني منطق الجزاء القسم الثاني من الأخبار الواردة في "كتاب المكافأة وحسن العقبى". فالخبر ينطلق من عمل قبيح[1] يتجاوز في قبحه مفهوم "الإساءة" عند بروب. وتنجز هذا العمل شخصيّة تكون في موقع أعلى، وتستهدف به شخصيّة تكون في موقع أدنى. ثمّ تنقلب الأدوار والمواقع، فتظفر الشخصيّة التي تعرّضت للسوء والأفعال القبيحة بالشخصيّة التي تسبّبت لها في أزمتها، فتعاملها بمثل ما كانت عاملتها به سابقا. وليست هذه المعاملة إلّا جزاء من جنس السوء الذي بادرت الشخصيّة الأولى به.

ونصل إلى أنّ للأخبار الأدبيّة الواردة في "كتاب المكافأة وحسن العقبى" بنيتيْن[2]. تقوم كلّ بنية على ثنائيّة ذات أسس قيميّة. قامت أولاهما على ثنائيّة الحسن والمكافأة، وقامت الثانية على ثنائيّة القبيح والمكافأة. فجاءت هذه الأخبار انتشارا

---

[1] للقبيح في أخبار "كتاب المكافأة وحسن العقبى" صور شتى. فقد تكون الكراهية كخبر "ابن الزيات والمتوكّل" (ص 72)، أو الطمع كخبر "العمري وغلمانه" (ص 75).

[2] لا تقتصر البنية الثنائيّة على أخبار "المكافأة وحسن العقبى" فحسب، بل نجدها تتحكّم في أنواع سرديّة مجاورة كالنادرة. فقد وصل توفيق بكّار إلى أنّ النادرة قائمة على بنية ثنائيّة ذات وجهين: الجمع والمنع، والتفويت والاستدراك.

توفيق بكّار، جدليّة المال والأقوال، ضمن قصصيّات عربيّة، ج 1، دار الجنوب للنشر، تونس، 2001، ص 62.

لما كان قد أشار إليه ابن الداية في خاتمة المقدّمة قائلا: "وقد كتبت لك في هذه الرسالة أخبارا في المكافأة على الحسن والقبيح" (ص 2).

وتلتقي علاقة الأخبار بالقيم عند ابن الداية مع علاقة الخطابة بالقيم عند أرسطو. فقد جعل الخطابة خادمة لقيم العدل والنافع والجميل[1]. بل إنّ القيم عند ابن الداية أصبحت موضعا (Topique) ينطلق منه لتأصيل أخباره وشدّها إلى المنظومة القيميّة في الثقافة العربيّة الإسلاميّة. ولعلّ تأثير القيم في البنية الحدثيّة أن يكون له رجع صدى في مستوى الشخصيّات.

II. الشخصيّات والتوجيه القيميّ

تمثّل الشخصيّة مدار الخطاب السرديّ، وتنهض بدور أساسيّ في ميثاق القراءة (Pacte de lecture)[2]. و"كلّ حكاية هي حكاية شخصيّات."[3] ولئن غدت طرائق بناء الشخصيّة موضعا مشتركا في الخطاب السرديّ فإنّ البحث في تصنيفها وبنائها النصّيّ وعلاقاتها ووظائفها يختلف في الخطاب النقديّ باختلاف الأنساق المعرفيّة، نحو الوظائفيّة[4] والبنيويّة[5] والسيميائيّة[6]. ويعنينا في هذا المستوى النظر إلى الشخصيّة من جهة كونها علامة لغوية وكائنا ورقيّا تخييليّا[7] ذاتيّ المرجع (Autoréférentiel)، أو ذاتا تجريبيّة (Sujet empirique) أو شكلا فارغا (Forme vide) في حالة بناء مستمرّ تملؤه المسانيد والمحمولات أفعالا وصفات وأقوالا.

---

[1] Aristote, *Rhétorique,* trad. C-E Ruelle, le livre de poche, Librairie Générale Française, Paris, 1991, p. 80 (1355 b).

[2] Carole Tisset, *Analyse linguistique de la narration*, Sedes, Paris, 2000, p. 26.

[3] Yves Reuter, *L'analyse du récit*, Dunod, Paris, 1997, p. 27.

[4] Vladimir Propp, Morphologie du conte, op. cit. p. 29.

[5] Tzvetan Todorov, Les catégories du récit littéraire, in *Communications*, N° 8, 1966, p. 133.

[6] Philippe Hamon, "Pour un statut sémiologique du personnage", *Littérature*, N° 6, 1972.

[7] Jean Milly, *Poétique des textes*, Nathan, Paris, 1992, p. 42.

وتُعدّ الشخصيّة الواردة في أخبار "كتاب المكافأة وحسن العقبى" شخصيّة مختلفة في بنيتها من وجوه عديدة. واللافت للانتباه هو قيام تلك الأخبار على شخصيّتيْن تتبادلان الأدوار والمواقع. ولعلّ ذلك ما حمل المحقّق على وسم عدّة أخبار بأسماء الشخصيّات الرئيسة فيها. ولمّا كانت الأخبار تدور على "الحسن" و"القبيح" فإنّ الشخصيّات التي تجسّد إحدى هاتيْن القيمتيْن تتقدّم في سلّم الأهمّيّة على الشخصيّات الأخرى. وقد تشكّلت الشخصيّة تشكّلا قائما على أربعة مكوّنات: القيميّ والذهنيّ والنفسيّ والسلوكيّ.

ففي مستوى المكوّن القيميّ تضخّمت قيمتا "الحسن" و"القبيح" واستبدت بالشخصيّات وهيمنت على تفكيرها وتحكّمت في مشاعرها ووجّهت سلوكها. فمحمّد بن يزيد في الخبر الأوّل لم يفكّر إلّا في "الحسن"، واختار من وجوه البرّ والإحسان المساعدة العينيّة المباشرة، لكونها الحلّ الوحيد المناسب لسدّ نقص "مسافر" وإخراجه ممّا هو فيه من الضيق وسوء الحال إلى السعة وحسن الحال.

وأمّا الجماعة في الخبر الثاني فإنّها لم تفكّر إلّا في "القبيح"، واختارت من وجوهه أبشعها، وهو تسليم الشخص القادم في اتّجاهها إلى من هو أشدّ عداوة له منها. فهو الحلّ المناسب الذي يشفي غليل الجماعة ويشبع منزعها السادي بالتلذّذ بآلام الآخرين.

في المستوى الذهنيّ بُني ذهن الشخصيّة بناء جعله يشتغل في اتّجاه واحد، هو الإحسان. ففي الخبر الأوّل المذكور أعلاه، خبر "محمّد بن يزيد ومسافر" كان محمّد بن يزيد في موقع المشاهد في السياق التواصليّ الأوّل الجامع بين مسافر وبعض التجّار. وكانت أمام مسافر عدّة احتمالات ليحصل على مبلغ ماليّ يمكّنه من العودة إلى منزله. ولكنّ محمّد بن يزيد لم يفكّر في إيّ احتمال من الاحتمالات، وإنّما فكّر فقط في المساعدة، فاستخبر مسافر عن تكلفة العودة إلى المنزل، ثم دفعها إليه سريعا.

وفي الخبر الثاني المذكور أعلاه خبر "عمرو بن العاص وتنكّره" فإنّ الجماعة المتربّصة في أطراف الفسطاط لمّا رأت عمرو بن العاص اقتصر تفكيرها على كون القادم في اتّجاهها صيدا محتملا لتجريده ممّا عنده من مال ومتاع، ولم ينفتح في ذهنها أي مسلك آخر من مسالك الاحتمالات كأن يكون القادم شخصا غريبا عن الفسطاط تقطّعت به السبل، أو مسكينا عدم المأوى. ويزداد ذهنها تفكيرا في القبيح بناء على الموضع الذي اختارت الكمون فيه. فهو موضع منقطع عن الحركة ومنفتح على الخلاء، فيسهل عليها تنفيذ خططها والإساءة إلى كلّ من مرّ من هناك دون أن تعرّض نفسها للخطر.

وفي مستوى البنية النفسيّة امتلأت الشخصيّة حسنا وخيرا أو قبحا وشرّا. فمحمّد بن يزيد في خبره مع مسافر فاضت نازعة الشفقة لديه بمجرّد أن رأى مسافر في وضع المستجدي. ولم يتمكّن من إخماد هذه النازعة والسيطرة عليها رغم أنّ الصورة الأولى التي بناها لمسافر صورة مقرفة منفّرة، فهو "أصفر، خبيث المنظر، متمكّن من نفسه، من الخارجين من السجن". وكان لهذه النازعة تأثير عميق في شخصيّة محمّد بن يزيد. فقد سارع إلى الاستجابة لمطلب مسافر، فأصلح افتقاره وسدّ ما به من نقص.

وأمّا الجماعة في خبر "عمرو بن العاص وتنكّره" فقد تمكّن منها القبح كلّ تمكّن. فبمجرّد أن رأت شخص عمرو بن العاص قادما تحرّكت في داخلها نازعة الظلم وهيمنت على غيرها من النوازع لا سيّما تلك المتّصلة بالفضائل. وكان لنازعة الظلم تأثير عميق في الجماعة تجلّى في ما عزمت عليه من الإساءة لعمرو بن العاص. وقد بلغت تلك النازعة من الجماعة مبلغا عظيما، فأغشت بصرها فلم تتثبّت في حقيقة الشخص القادم نحوها، وأعمت بصيرتها فلم تفكّر في عواقب الأمور.

واقترنت نازعة الظلم بنازعة الطمع، فقرّرت الجماعة تسليم القادم نحوها إلى الأمير لتحقيق غايتيْن: تتمثّل أولاهما في انتقام الأمير من هذا الشخص وقتله.

وليس بعد القتل مرتبة في الظلم، فترتوي غلّة الظلم عند الجماعة. وتتمثّل الغاية الثانية في الحصول على مكافأة من الأمير بعد أن مكّنته من القبض على رجل هارب منه. فترتوي نازعة الطمع عند الجماعة. ويكتمل بذلك القبيح في أبشع صوره.

وأمّا المكوّن السلوكيّ فهو امتداد للمكوّنات السابقة وانتشار لها. ويتجلّى أساسا في العمل والقول. فمحمد بن يزيد في الخبر الأوّل لم يكتف بـ"الحسن" من جهة كونه قيمة يقبلها العقل، ويميل إليها الوجدان، وتتنزّل في أعلى سلّم الفضائل، وإنّما تحوّل كلّ ذلك سلوكا عمليّا تجلّى في تقديم المبلغ المالي الذي حدّدته الشخصيّة المأزومة ورأته كفيلا بحلّ ازمتها.

والأمر ذاته بالنسبة إلى الجماعة المذكورة في الخبر الثاني، خبر "عمرو بن العاص وتنكّره". فهي لم تقتصر على "القبيح" على اعتباره رذيلة سلّم بها عقلها، ومال إليها وجدانها، وقدّمتها على سائر الرذائل الأخرى، وإنّما جسّدت كلّ ذلك سلوكا وممارسة. ولم تكتف بالعزم على الإساءة إلى الشخص القادم في اتّجاهها بل حملته إلى الأمير أملا في تسليط أشكال من القبيح عليه أبشع ممّا كان يمكن أن تسلّطه هي عليه.

وكان لبنية الشخصيّة على هذا النحو تأثير عميق في طبيعة العلاقة بين الشخصيّات. وهي علاقات قائمة أساسا على تبادل المواقع بين موقع الأعلى وموقع الأدنى[1]. ففي المقطع الجزئيّ الثاني من الخبر الأوّل المذكور أعلاه وجد محمّد بن يزيد نفسه ورفاقه من التجّار في حال من السوء ليس بعدها مزيد. فقد وقعوا في

[1] تقول أركيبوني: "في سياق عمليّة التبادل يمكن لطرفي الحوار أن يوجدا في مكان مختلف في هذا الحوار العمودي غير المرئي الذي يحدّد علاقتهما الشخصيّة، فتقول إذن إنّ أحدهما احتلّ موقعا أعلى، موقع المهيمن. بيد أنّ الآخر وُضع في موقع أدنى، موقع المهيمن عليه".
Catherine Kerbrat-Orecchioni, *Les interactions verbales*, Armand Colin, Paris, 1992, p. 71.

قبضة اللصوص وبدأت عمليّة سلبهم أموالهم وما يحملون. وتشاء المصادفات أن يكون مسافر هو زعيم اللصوص. ولمّا عرف محمّد بن يزيد وتذكّر سابقته معه ضجّت في صدره رياح "الحسن". وأقرب وجوه الحسن في مثل تلك المواقف الاعتراف بالجميل والمكافأة عليه.[1]

وفي المقطع الجزئيّ الثاني من الخبر الثاني خبر "عمرو بن العاص وتنكّره" أفلح عمرو بن العاص بدهائه ومكره في استدراج الجماعة إلى دار الإمارة. وهناك تعزّز موقعه بوجود الشرط. ولمّا قبض على أفرادها لم يعاملهم معاملة المنحرفين وقطّاع الطرق وإنّما عاملهم بالقبيح الذي عاملوه به. ومن أسوإ وجوه القبيح القتل، مكافأة على ما كان قد بدر منهم.

ويبدو أنّ الشخصيّات في "كتاب أخبار المكافأة وحسن العقبى" قد خضعت سواء في مستوى تشكيلها أو مستوى العلاقات بينها للتوجيه الذي مارسته عليها القيم. وهي تجسيد لقيم الحسن والاعتراف بالجميل أو القبيح والجزاء. بل إنّ تلك الشخصيّات أصبحت مجرّد رموز لتلك القيم. ولعلّ توجيه القيم للشخصيّات يتعزّز بما لتلك القيم من تأثير في بنية المكان.

III. المكان وتأثير القيمة

تزايدت أهمّيّة المكان في الخطاب السرديّ[2]. ومثّل مشغلا أساسيّا في أعمال سرديّة عدّة. وأوكل إليه أمر البطولة في أعمال أخرى مختلفة.[1] ورغم ذلك ظلّ المكان "نسيب الفقير في الدراسات السرديّة"[2].

---

[1] من الشخصيات الواردة في أخبار "المكافأة وحسن العقبى" من ترفض المكافأة مثل الأعرابيّ في خبر "ابن دعيم والأعرابيّ" (ص 7)، وهناك من تقعد عن المكافأة فتنوبها شخصيّة أخرى إبقاء لماء الوجه، مثلما ورد في خبر "ابن الزنق والقاسم بن شعبة" (ص 18.).

[2] يرى هنري ميتران أنّ المكان هو أساس القصّة لاحتياج الأعمال إليه.

ويتّسم الخبر الأدبيّ من جهة كونه شكلا بسيطا بأنّه أقلّ تمركزا في الفضاء. ولذلك تقلّص حضور الأمكنة التي دارت فيها الأعمال في أخبار "كتاب المكافأة وحسن العقبى". ورغم ذلك لا نعدم الإشارة إلى بعض الأمكنة. وقد جاءت عامّة وخاصّة، وبُنيت بناء قائما على ثنائيّة "الحسن" و"القبيح". ففي الخبر الأول دارت الأحداث في مكانين، هما دكان الأكسية، وريف المحرّقة. وورد دكان الأكسية خاصّا، وفيه قدّم محمّد بن يزيد المساعدة المادّيّة لمسافر. وورد ريف المحرّقة عامّا. وقد دارت فيه أحداث المقطع الجزئيّ الثاني. وهناك تعرّض محمّد بن يزيد للأسر وأوشك أن يُسلب ما عنده. فاقترن الدكان بالحسن واقترن الريف بالقبيح. غير أنّ قبيح الريف لم يكتمل بسبب سابقة الحسن الواقعة في الدكّان. فكأنّ الدكّان فاض حسنا ليشمل ما عداه من الأمكنة. ولمّا كان الدكّان جزءا من المدينة يمكن القول إنّ المدينة فضاء المحاسن والفضائل، والريف فضاء القبح والرذائل.

ودارت الأحداث في الخبر الثاني خبر "عمرو بن العاص وتنكّره" في مكانيْن كذلك: طرف الفسطاط ودار الإمارة. وجاء طرف الفسطاط عامّا. ودارت فيه أحداث المقطع الجزئيّ الأوّل. ومثّل هذا المكان فضاء تعرّض فيه عمرو بن العاص للسوء، أو كاد يتعرّض للسوء لولا أنّه أعمل عقله للخروج من الورطة واستدراج الجماعة إلى حيث يمكنه السيطرة عليها. فاقترن هذا المكان بالقبيح. وأمّا المكان الثاني فجاء خاصّا. وهناك انقلبت الأدوار، وأصبح عمرو بن العاص في الموقع الأعلى. فتمكّن من النجاة من السوء الذي عزمت الجماعة على إلحاقه به، بل ردّ عليهم كيدهم وعاملهم بالمثل مكافأة منه لهم على ما كان قد بدر منهم. فاقترن بذلك طرف المدينة بالقبيح، واقترن وسطها بردّ القبيح.

Henri Mitterand, *Le discours du roman*, Presses Universitaires de France, Paris, 1980, p. 194.

[1] إبراهيم الكوني، البحث عن المكان الضائع، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط 1، بيروت، 2003.

[2] David Fontaine, *La poétique introduction à la théorie générale des formes littéraires*, Armand Colin, Paris, 2005, p. 62.

ويمكن القول إنّ المكان في أخبار "كتاب المكافأة وحسن العقبى" قد بُنى على ثنائيّة قيميّة متقابلة: مركز المدينة وخارج المركز. ففي مركز المدينة يسود الحسن ويُردّ القبيح. وفي خارج مركز المديمة يسود القبيح. وتمثّل هذه الثنائيّة في وجه من وجوهها صدى لثنائيّة المركز والهامش التي تحكّمت في بنية المجتمع العربيّ الإسلاميّ القديم. ولعلّ هذه البنية الثنائيّة تتأكّد بطبيعة النظام الذي خضع له الزمان في أخبار "كتاب المكافأة وحسن العقبى".

IV. الزمان وتأثير القيمة

يشكّل الزمان مع المكان وجهيْ الإطار. وهو من جهة كونه مقوّما قصصيّا "بصدد التحوّل إلى بطل"[1]. وقد أفاضت الدراسات النقديّة في مقاربة طرائق بنائه الفنّيّ واستقصاء وظائفه. وسبيلنا في هذا المستوى النظر في وجوه بنائه المختلفة في الخبر الأدبيّ.

لقد خضع الزمان في أخبار "كتاب المكافأة وحسن العقبى" لبنية ثنائيّة قائمة على الغياب والحضور. تمثّل الغياب في عدم ورود أي إشارة إلى القرائن الزمانيّة في أغلب الأخبار. ولئن كان ذلك مبرّرا فنّيّا لعدم تمرّكز الخبر الأدبيّ في الفضاء فإنّه لا يخلو من مقاصد. فتغييب الزمان شكل من أشكال الإيغال في الإطلاق. وفي هذا الإيغال حرص على تأكيد سمة الإطلاق في طبيعة الأعمال التي قامت عليها أخبار "المكافأة وحسن العقبى". ويترتّب على ذلك إطلاق القيم المتّصلة بتلك الأعمال، وهي الحسن والقبيح والمكافأة والصبر وحسن العقبى.

ويتمثّل حضور الزمن في تلك الإشارات الزمنيّة التي تواترت في بعض الأخبار، من قبيل "ما اشتهيت من مراتب السلطان إلّا مرتبة رأيت أبا يوسف بلغها في عشيّة من العشايا" (ص 64)، وكذلك "إن رأيت أن تؤخّرني إلى نصف النهار" (ص 77). وتشترك هذه الإشارات في الدلالة على الإطلاق. ففي لفظ "عشيّة" بعض الدقّة،

---

[1] Roland Bourneuf et Réal Ouellet, *L'univers du Roman*, P.U.F. Paris, 1985, p. 147.

ولكنّ تركيب "من العشايا" ينزع إلى الإطلاق. فتصبح الدقّة المستفادة من لفظ "عشيّة" وهما. ولئن كان "النصف" في "نصف النهار" معلوما فإنّ "النهار" مجهول، ولا يمكن تعيينه على وجه الدقّة. ولذلك فإنّ الزمان في هذه الإشارات ليس "لسانيّا"[1] فحسب، ينزع بدوره إلى الإطلاق. وتتكامل سمة الإطلاق تلك مع سمة الإطلاق الناشئة من غياب تلك الإشارات في أغلب الأخبار لتؤكّد تفلّت الأعمال في أخبار "المكافأة وحسن العقبى" من كلّ بعد مرجعيّ تاريخيّ، ونزوعها إلى الإطلاق. وفي ذلك إطلاق لكلّ القيم المتّصلة بها، وتأكيد لحتميّة التحوّل من حال إلى أخرى. وهي من أبرز مقاصد ابن الداية. فهو يقول في خاتمة الباب الثاني: "وقد علم الإنسان أنّ سفور الحالة عن ضدّها حتم لا بدّ منه، كما علم أنّ انجلاء الليل يسفر عن النهار" (ص 106).

الخاتمة

يتّضح ممّا تقدّم أنّ البنية الحكائيّة في أخبار "كتاب المكافأة وحسن العقبى" قائمة على مجموعة من الثنائيّات ذات أسس قيميّة. ففي مستوى البنية الحدثيّة تواترت ثنائيّة الحسن والمكافأة أو القبيح والمكافأة، حيث تنتظم الأعمال في بداية الخبر حول عمل حسن أو عمل قبيح، ثمّ تنتظم في نهايته حول عمل المكافأة. وتكون المكافأة من جنس العمل الأوّل. فهي اعتراف بالجميل بعد العمل الحسن أو عقاب بعد العمل القبيح.

وتجلّت الثنائيّات في مستوى الشخصيّات في وجود شخصيّتين تتبادلان الأدوار والمواقع. فإحدى الشخصيّات تنجز في بداية الخبر عملا حسنا أو عملا قبيحا موجّها إلى شخصيّة أخرى، وفي نهاية الخبر تُكافئها تلك الشخصيّة على إحسانها أو تعاقبها على قبيحها.

---

[1] Ligia Stela Florea, *Pour une approche linguistique et pragmatique du texte littéraire*, Editions eliteratura, Bucarest, 2015, p. 63.

وخضع المكان بدوره لبنية ثنائيّة تجلّت في وجهها الأوّل في الغياب والحضور. واتّصلت في وجهها الثاني بالحضور. فاقترنت بعض الأمكنة بالعمل الحسن، واقترنت أخرى بالعمل القبيح. واستجاب الزمن بدوره للبنية ذاتها التي ميّزت المكان. وتكامل غيابه وحضوره في الدلالة على الإطلاق.

والمختلف في بنية أخبار "كتاب المكافأة وحسن العقبى" ارتباطها بالقيم. فالقيم هي التي منحت الأخبار وجهتها السرديّة (Direction narrative)[1]، ووهبتها مقدارا من الخلود[2]. فتحكّمت في الأحداث ووجّهت الشخصيّات وساهمت في تشكيل المكان والزمان. ووردت كلّ المكوّنات الحكائيّة خادمة لقيمة الحسن أو قيمة القبيح أو قيمة المكافأة سواء كانت ردّ جميل أو عقابا. ولا شكّ في أنّ ربط الخبر الأدبيّ بالقيم الأخلاقيّة على هذا النحو سيؤدّي إلى إعادة النظر في دور القيم في بناء أدب الأخبار في التراث العربيّ وتأويله، و"التركيز على التخطيب لا على الرسالة"[3].

[1] Carole Tisset, *Analyse linguistique de la narration*, op. cit. p. 40.

[2] تسمح بعض النصوص للقارئ بالقيام بعمل تأويليّ متجدّد.

Francine Circurel, "Le lu et le lire ou l'espace de la lecture", in *Texte et discours catégories pour l'analyse*, Editions Universitaire de Dijon, Dijon, 2004, p. 216.

[3] محمّد القاضي، المعنى والدلالة في النصّ السرديّ، ضمن النصّ السرديّ وقضايا المعنى، إشراف محمّد نجيب العماميّ ونور الدين بنخود، دار محمّد علي للنشر ونادي القصيم الأدبيّ، ط 1، 2016، ص 19.

المصدروالمراجع

المصدر

- ابن الداية (أحمد)، كتاب المكافأة وحسن العقبى، تحقيق محمود محمّد شاكر، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د. ت).

المراجع

المراجع العربيّة

- بكّار (توفيق)، جدليّة المال والأقوال، ضمن قصصيّات عربيّة، ج 1، دار الجنوب للنشر، تونس، 2001.
- جبار (سعيد)، الخبر في الأدب العربيّ الثوابت والمتغيّرات، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط 1، 2004.
- العجيمي (محمّد الناصر)، في الخطاب السرديّ نظريّة قريماس، الدار العربيّة للكتاب، 1993.
- القاضي (محمّد)،

المعنى والدلالة في النصّ السرديّ، ضمن النصّ السرديّ وقضايا المعنى، إشراف محمّد نجيب العماميّ ونور الدين بنخود، دار محمّد علي للنشر ونادي القصيم الأدبيّ، ط 1، 2016.

الخبر في الأدب العربي: دراسة في السرديّة العربيّة، كلّية الآداب منوبة، تونس، بالاشتراك مع دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1998.

- يقطين (سعيد)، الكلام والخبر مقدّمة للسّرد العربيّ، المركز الثقافيّ العربيّ، ط 1، الدار البيضاء، 1997.

المراجع الأجنبيّة

- Adam (Jean-Michel), *La description*, P. U. F, Paris, 1993.
- Aristote, *Rhétorique,* trad. C-E Ruelle, le livre de poche, Librairie Générale Française, Paris, 1991.

- Bakhtine (Mikhail), *Esthétique et théorie du roman*, Gallimard, Paris, 1987.
- Bourneuf (Roland) et Oullet (Réal), *L'univers du Roman*, P.U.F. Paris, 1985.
- Bremond (Claude), *Logique du récit*, Editions du Seuil, 1973.
- Circurel (Francine), "Le lu et le lire ou l'espace de la lecture", in *Texte et discours catégories pour l'analyse*, Editions Universitaire de Dijon, Dijon, 2004.
- Florea (Ligia Stela), *Pour une approche linguistique et pragmatique du texte littéraire*, Editions eliteratura, Bucarest, 2015.
- Fontaine (David), *La poétique introduction à la théorie générale des formes littéraires*, Armand Colin, Paris, 2005.
- Greimas (Algirdas Julien), *Sémantique structurale Recherche de méthode*, Larousse, 1966.
- Hamon (Philippe), "Pour un statut sémiologique du personnage", *Littérature*, N^{o} 6, 1972.
- Milly (Jean), *Poétique des textes*, Nathan, Paris, 1992.
- Orecchioni (Catherine Kerbrat), *Les interactions verbales*, Armand Colin, Paris, 1992.
- Mitterand (Henri), *Le discours du roman*, Presses Universitaires de France, Paris, 1980.
- Propp (Vladimir), *Morphologie du conte*, Editions du Seuil, 1965.
- Tisset (Carole), *Analyse linguistique de la narration*, Sedes, Paris, 2000.
- Todorov (Tzvetan),
- *Théorie de la littérature*, Seuil, Paris, 1965.
- "Les catégories du récit littéraire", *Communications*, 1966.